واقع الصحافة الجزائريّة المكتوبة في ظلّ التعدديّة اللّغويّة
"الخبر اليوميّ" و "الشروق اليوميّ" و "الجديد اليومي" نماذجاً

أ عبد الحميد بوترعة
جامعة الوادي

الملخص:

تُعدّ الصحف من أهمّ وسائل الإعلام المكتوب التي تتّضحُ فيها ظاهرة التعددية اللغوية إذْ نقف في مقالنا هذا على جرائد جزائريّة ثلاثة هي " الخبر اليوميّ" و" الشروق اليوميّ" و" الجديد اليومي" حيث تحتلّ حيِّزا كبيرا من المقروئيّة كنماذج حيّة لتوضيح واقع صحافتنا المكتوبة في ضلّ هذا التنوّع اللساني والكشف عن مدى تأثيره على اللغة العربيّة ذات المستوى الفصيح والبحث في كيفية تفعيل دور الصِّحافة في خدمة اللغة العربية وترقية استعمالها.

Résumé :

Les journaux sont les plus moyens d'information écrits qui l'eclairit le phénomène d'interaction linguistique ou arrête dans notre discours aux trois journaux algériens "El khabar el yaomi" " Echourouk el yaomi" et " Le jadid el yaomi " pour éclairer les phénomènes d'interaction linguistique de notre presse écrite et rechercher sur la façon pour activer le rôle de presse au service de la langue arabe et de promouvoir son utilisation

.

.

مقدمة:

لا جرم أنّ اللغة أداة تواصل و تعارف، وهي وعاء الفكر والعلم، ووسيلة المعرفة والثقافة، بها يُعبِّر الإنسان عن مكنوناته وبوساطتها يتواصل الناس فيما بينهم و يتعارفون، وعليها تُبْنى المجتمعات و بها تُقوّم الأمم. وليست اللغة مجرّد رموز أو مواصفات فنّية، بل هي أسلوب تفكير ونمط بناء وتثقيف للشخصيّة الإنسانيّة، وبقدر ما تكون اللغة دقيقة يكون الفكر دقيقا والرأي صائبا، فالإنسان عندما يفكِّر لا يستطيع ذلك إلاّ إذا وجد مخرجًا لكلّ فكرة بعبارة يقولها أو يكتبها، وما لم تتحوّل الفكرة إلى لغة فإنّها تموت ومن هنا فإنّ زيادة الثروة اللغويّة يؤدّي إلى زيادة الثروة الفكريّة، وأيّ خلل في الفكرة كان تبعا لذلك خلل في اللغة.

وبما أنّ اللغات واللهجات تعدَّدَتْ وتنوَّعَتْ في العالم بأسره فقد أدَّى ذلك إلى بروز "الاقتراض اللغوي" و"الازدواجية والثنائية اللغوية"، سواء عند الأفراد أو عند الجماعات، وهو بدوره أدّى إلى الاحتكاكات اللغويّة بين جملة هذه اللغات واللهجات مع تباينها في الاستعمال اللغويّ المنطوق منه أو المكتوب، فكان لهذا التنوّع اللغويّ أثره الكبير ثقافيًّا واجتماعيًّا بوجهه السلبيّ أو الإيجابيّ. والجزائر – كأحد الأقطار المغاربيّة– قدْ تَشَكَّلَتْ في محيطها مثلُ هذه الاحتكاكات بفعل عوامل عدّةٍ منها الاستعمار المتعاقب عليها عبر السنين ممَّا أدَّى إلى تمازج اللغات فيما بينها وتغلغل الدخيل الأجنبي خاصّة في عاميّتها، وهو ما أدّى إلى طرح مشكلة التعدديّة اللغويّة.

ولمْ يكنْ بروز هذه الظاهرة مقصورًا على ألسنة العامة من الناس فحسب، بلْ كان لها أثَرٌ حتى في وسائل الإعلام من خلال لغة الصحافة بأنواعها المختلفة من صحافة مكتوبة، وسمعية، وسمعية بصرية كيف لا والصحافة تمتلك قدرًا هائلاً من السلطة اللغويّة لما لها من تأثير في حياة الناس، فإذا كانت روافدها نقية صافية كانت لغتها رائقة مشرقة، وإذا كانت هذه الروافد آسنة معكّرة كانت لغتها مزيجا من هذا الخليط الفاسد.

من هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لتُجيبَ على جملة من الأسئلة لعلَّ من أبرزها:

ما مفهوم التعددية اللغوية وما مدى تأثيرها على اللغة العربيّة الفصحى؟ وكيف تبرز في صحافتنا المكتوبة من خلال جريدة "الخبر اليومي" و"الشروق اليومي" و"الجديد اليومي"؟ وما سُبل معالجة هذه الظاهرة حفظًا للّغة الفصحى وتفعيلاً لدور الصّحافة خدمةً لها، وترقيّةً لاستعمالها؟

– مفهوم الصحافة:

لغة: وَرَدَ تعريفها في المعجم الوسيط: « مادة (ص ح ف): الفعل (صحَّف) بمعنى أخطأ في الكتابة والقراءة، ويضيف الصِّحافة: مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلّة.

الصّحَفي: ... هو الشخص الذي يُزاوِلُ حرفة الصَّحافة.

الصحيفة: ما يُكتب فيه من وَرَقٍ ونحوه ... وإضمامة من الصفحات تصدرُ يوميًا أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصلُ بذلك»[1].

اصطلاحا: « هي إحدى وسائل الإعلام وهي نشرات يومية أسبوعية تقدَّم من المعلومات العامة حول الوقائع العامة، ونجد قنوات الصحافة متنوعة من جرائد، إذاعات، فضائيات إنترنت، وصحافة إلكترونية ...»[2]. أو هي جمع الأخبار ونشرها ونشر المواد المتصلة بها في مطبوعات مثل الجرائد، المجلات، الرسائل الإخبارية المطبوعات، الكتب، وقواعد البيانات المستعينة بالحاسبات الإلكترونية، أمّا الاستعمال الشائع للصِّحافة ينحصر في إعداد الجرائد وبعض المجلاّت، وإنْ كان يمكن أنْ يتَسعَ ليشمل باقي صور النشر الأخرى.

والصحافة من أهم المقوَّمات التي تؤثِّرُ في تكوين الرأي العام وفي توجيهه «إذْ إنَّها تُوَلِّدُ شعورًا جماهيريًّا عامًّا ذا انطباعات واهتمامات بالمسائل المحلية والقومية والعالمية المشتركة، فهي تُرْضي نزعة الاهتمام الفردي والجماعي بمثل هذه المسائل ، وهي توقظ الرأي العام وتُوَجِّهُهُ وتُحَرِّكُ مشاعره، و تستميله وتفرض عليه منطقها، تُوَزِّعُ أفكارها على الملايين من القراء بسرعة وفي وقت واحد، فيتولَّدُ بينهم نوع من التوافق الفكري»[3].

وتظهر أهمية الصحافة في تنمية الحصيلة اللغوية لمستخدميها؛ إذْ عن طريقها يطّلِعُ الإنسان على نتائج الفكر الإنساني في المكتوب فيتعرَّفُ على الأساليب المختلفة في التعبير وعلى الألفاظ والتراكيب والاصطلاحات بمدلولاتها المختلفة، أيْ يطلِّعُ على بكلّ ما يطرأ عليها من تغيُّرات وما خضعت له من تطوير، فيضمُّ إلى حصيلته من مفرداتها وصيغها حصيلة أخرى واسعة. كما يتّصلُ الإنسان بمنْ يُعَاصرُهم على مختلف مواطنهم وبيئاتهم من خلال ما يقرؤه من نتاجهم المدوَّن، فيتعرَّف على اللغة في حاضرها وعلى ما تجدّد و تغيّر من ألفاظٍ و تراكيب و أساليب، و ما تبدّل أو تطوَّر من مدلولات فيها، فتزيدُ حصيلته اللغوية سعةً وإحاطةً.

– التعدّد اللغويّ Purilinguisme :

يشير مفهوم التعدّد اللغويّ في الأدبيات اللسانية عامة إلى وضعيات تواصلية لغوية مختلفة، تختلف فيها اللغة المستعملة حسب الوضعية والسياق أو الحاجيات والغايات والأهداف، أيْ أنّنا نتحدّث بأكثر من نظاميْن لغويّيْن، وعلى هذا الأساس، نجد أنّ التعدّد اللغويّ يحتوي ما يسمّى بالأحادية اللغة والثنائية اللغوية والازدواجيّة اللغويّة، وهو ما يفرض علينا الوقوف عند كل واحد من هذه المفاهيم.

فالأحادية اللغوية يتمّ فيها غياب مستوى آخر من الأنظمة اللغوية، أي حضور مستوى واحد وأوحد، غير أنّ هذا يغيب بشكل أو بآخر، لأنّ كلّ لغات العالم تتميز بخاصية التعدد اللغوي، وإن كان هناك اختلاف واضح بين أنظمة اللغة وخصوصية كل دولة على حدى.

أمّا الثنائية اللغوية يمكن تحديدها بأنّها " وضعية لغوية يتناوب فيها متكلمون من مجموعة لغوية ما على نظامين لغويين مختلفين" [4] ، إذ نلاحظ أنّها ظاهرة أكثر شيوعا في مجموعة من المجتمعات خصوصا العربية التي تتوفر على مجموعة من الأنظمة اللغوية.

وفيما يخصّ الازدواجية اللغوية (Diglossie) فيقصد بها " تواجد نظامين أو نوعيْن لغويّيْن مختلفيْن في مجتمع ما تجمع بينهما أواصر قرابة وعلاقة نسب"[5] ، وهي بهذا من الظواهر التي تفرض نفسها بحدّة داخل المجتمعات بصفة عامة، بل إنّ معرفتها يعدّ من الأمور الضرورية لمعرفة إنتاج المتعلم من اللغة، ومن تم استغلالها في عملية التعلم. ونشير إلى أن ظاهرة الازدواجية اللغوية سمة تتميز بها كل اللغات ولا تقتصر على لغة معينة دون غيرها.

فالتعدّد اللغوي أن تجد مجموعة من اللغات المستعملة بدرجات متفاوتة ومن ذلك مثلا ما حصل لبلاد المغرب العربي حين تعدّدت العوامل ، كالفتح الإسلامي والغزو الإسباني والاستعمار الفرنسي ، تداخلت اللغات ببعضها فأدّى إلى تمازج اللغات فيما بينها وظهر التداخل اللغوي .[6]

والجزائر تتميّز لسانيًّا بالتعدّد اللغويّ فهي تتضمّن إلى جانب اللغة العربيّة بمستويَيْها الفصيح والعامي كلاًّ من اللغتين الأمازيغية والفرنسية، وقد نتجت هذه الوضعية عن ظروف تاريخية قاهرة، وعن اختيارات سياسية فرضتها ظروف انتشار الإيديولوجية القوميّة وترسيخ النموذج الفرانكفوني وسياسة الانفتاح الخارجي[7] والملاحظ للخريطة اللغويّة للجزائر يجد تعدُّدًا لغويّا مشوبا بازدواجية خاصّة، كما يلاحظ وجود لغات ولهجات متعدّدة لكلّ واحدة منها دور وظيفي معيّن، والمقتصر على استعمال إحدى اللغات المتعايشة بالجزائر قد يحتاج في غالب الأحيان إلى مترجم ليتواصل مع غيره من المواطنين، فإذا غادر أُمِّيّ من أسرة ريفية قريته ليستقرّ بإحدى القرى في الجنوب مثلا سيكون من الناحية اللسانيّة بمثابة المهاجر عن وطنه إذ سيحتاج لفكّ العزلة اللسانية عن نفسه إلى بذل جهد ثقافي للتمكّن من التواصل في الوسط اللغوي الجديد .[8] ويمكن أن نقف على بعض الأنماط اللغويّة السائدة في المجتمع الجزائري فيما يأتي :

1- العربية الفصحى: وهي ما يسمّيه الغربيّون العربية الكلاسيكية classical arabic أو العربية الفصحى fusha arabic وأحيانا العربية الأدبية literary arabic وما سمّاه فيرغسون بالنمط العالي أو الرفيع. variété haute[9]

الفصحى بالدرجة الأولى هي لغة الإسلام وهي الوسط الذي انتشر به الإسلام دينًا وثقافة ، والعلاقة بين العربية الفصحى والإسلام علاقة وطيدة ، قال تعالى:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[10] وقال أيضا: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[11] فلا غرو أنّ هذا السبب الأول في تمسّك العرب على اختلاف مآربهم وأهوائهم عبر التاريخ العربي باللغة العربية الفصحى رغم كل ما بذله الغازون والمستعمرون عبر التاريخ العربي الإسلامي من جهد في سبيل تحويرها أو تحريفها أو إبدالها بلغة أخرى .

فاللغة العربة الفصحى تُعَدّ اللغة الرسميّة في الجزائر، وهي دعامة من دعائم الشخصيّة الوطنيّة مثلها مثل الأمازيغية إلاّ أنّها ذات مستوى يفوق الأداءات اللغويّة الأخرى التي يتواصل بها المجتمع، ولذلك لا نجدها تؤدِّي أيّ دور وظيفي في التواصل الاجتماعي بين الجزائريين، إذْ يبقى استعمالها محصورا عند عدد ضئيل من المثقّفين لأنّها لغة الكتب والمقالات والخطابات الرسميّة والسياسية والدين والتعليم بجميع أطواره، ولعلّ ضيق فضاء استعمالها عائد إلى مشاكل عديدة تواجه العربية كصعوبة الحديث بها، وتفضيل العامية بدلها والدعوات الكثيرة الرامية إل تجاوزها بدعوى عدم مواكبتها للعصر والعلم وغير ذلك .[12]

2- العربية العامية : هي النمط الذي يسمّيه الباحثون الغربيون الدارجة Colloquial arabic أو العربية المحكية Spoken arabic أو عربية اللهجة Dialect، وأسْمَاه فيرغسون النمط المنخفض أو التنوّع الوضيع.[13]

هو النمط الذي يكتسبه العربي بصورة طبيعته كلغة أولى في مختلف أصقاع الوطن العربي ، وهو يتمايز من منطقة لأخرى ومن قطر لآخر يتمايز بأصواته وكلماته وقواعده، فهو الذي يستخدمه العربيّ في حديثه اليومي مع زوجته وأطفاله وأهله وقومه، إنّه النمط الذي لا يجيد الكثير من الناطقين بالعربية غيره فهو اللهجة الدارجة والمحكية التي ازدهرت بانتشار الأميّة وغياب التعليم ليتّجه نحو التبسيط والبعد عن الضوابط الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، فالعاميّة تحتلّ مكانة أدنى من حيث المستوى ومساحة أكبر من حيث الاستعمال، فقد رأى البعض أنّها – أي العاميّة – مقارنة بالفصحى ليست ناقصة فحسب بل أنّها تشويه للغة المقدسة لغة الفصاحة والأدب « لغة السكارى والخدم...فوضوية ولا قواعد لها» كما يقول مازن مبارك[14]، وهي« ينشرها ويحبّذها الأميّون » كما يقول مصطفى فهمي[15]، وغير ذلك من الأوصاف التي وصفت بها مع ما فيها من مبالغة في الاهتمام اللاّمرتكز على الأسس العلمية كون العاميّة لها قواعد وإنْ كانت تجنح إلى التبسيط، ولها وظائف موجودة بالفعل فرضتها الممارسة و الاستعمال.

والعربية العامية متعدّدة ومختلفة من بلد إلى آخر ، ففي الجزائر نلمس الدارجة الجزائرية أو الدارجات الجزائرية إذْ تتمايز لغة التواصل في الوسط الاجتماعي عند أهل مناطق الشمال عن نظائرهم في الجنوب

ومثله أيضا من الشرق إلى الغرب [16]. وهي جميعا لغة منطوقة ليس لها نظام خطّي محدّد يضبطها إلاّ أنّها توظّف بكثرة فشكّلت مساحات عريضة من الناطقين بها وحازت رقعة جغرافية كبيرة.

3- اللغة الهجين (خليط من اللغات): وهي نمط من العربية تطوّر بنمو الصحافة وتطوّرها وانتشار وسائل الإعلام، والمقصود بها تلك النوعية من العربية التي تكتب بها الصحف، وتذاع بها نشرات الأخبار والبرامج الثقافية في الإذاعة والتلفاز، يختلف هذا النمط قليلا عن الفصحى من ناحية بساطته وعدم الالتزام التامّ بقواعدها، يتميّز هذا النمط بالميل إلى الاستخدام الشائع من الألفاظ والبعد عن الإغراب بل لجوئه إلى الاقتراض من العاميّة، وكذلك يتميّز بتأثّره البالغ باللغات الأجنبيّة وبخاصّة اللغتين الفرنسية والإنجليزية سواء في الترجمة عنها أو الاقتراض منهما .

تميَّز الوضع اللغوي في بلادنا بالتعدديّة أو الازدواجيّة والثنائيّة اللغويّة[17] ، والتي كان لها أثرٌ كبيرٌ في حدوث التداخلات اللغويّة سواءً على مستوى الأفراد أو الجماعات إذْ كان المتكلّم يتعامل في حياته اليومية مع ثلاثة مستويات أو أنماط هي: "العربية الفصحى" على درجة ضئيلة، والأمازيغيّة بمختلف فروعها والدارجة العربية (العاميّة) بالإضافة إلى اللغات الأجنبية وعلى رأسها الفرنسية التي نالت الحُظْوة القُصوى من العناية إلى اليوم. والتداخل اللغوي يمسُّ كلّ المستويات اللغوية من أصوات وألفاظ وتراكيب، ولعلَّ أكثر المستويات عُرْضة لهذه الظاهرة مستوى الوحدات المعجميّة لأنّ لكلّ لغة معجمها الخاص، ومن ثمَّ يتعرَّضُ للتغيير وتُضَافُ إليها وحدات أخرى ربما جاءت نتيجة اختراع.

فالطفل العربي عمومًا والجزائريّ خصوصًا ينشأ وهو مزوّد برصيد لغويٍّ خليط بين مجموعة من اللغات المتباينة.هذا الخليط اللغويّ قد يُعدّ من أسباب ضعف التحصيل في اللغات خاصّة الفرنسية والعربية رغم عدد سنوات دراستها ، إضافة إلى ما قد ينجرّ عنه من اضطرابات نفسيّة قد تؤثّر سلبًا في النمو اللغويّ والعقليّ عنده .[18]

وبعد اطّلاَعنا على مجموعة من الصحف اليومية والأسبوعية الجزائرية المكتوبة بالعربية كان اختيارنا على ثلاثة عناوين اتّخَذْناها كنماذجَ لدراسة هذه الظاهرة – التعددية اللغوية – في لغة الصحافة المكتوبة وتتمثل فيما يأتي:

- جريدة الشروق اليومي، العدد 4272 ، يوم الخميس 30 جانفي 2014.
- جريدة الخبر اليومي، العدد 7345، يوم السبت 15 فيفري 2014
- جريدة الجديد اليومي، العدد 680، الخميس 30 جانفي 2014 .

ولئِنْ كان اختيارنا لهذه الصحف الثلاثة إنّما لكونها تمثّلُ المراتب الأولى على الصعيد الوطني من حيث المقروئيّة حيث تتقدم الخبر اليومي وتليها الشروق اليومي وطنيا ثم تأتي الجديد محليّا ، ذلك أنّها تعطي صورة حول قضايا المجتمع الجزائري سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية في الجزائر والوطن العربي وحتى في العالم.

* **جريدة الشروق اليومي:** العدد 4272 يوم الخميس 30 جانفي 2014

- استفيدوا عروضا الاستثنائية
- سمح لكلّ الفدراليات
- جاء الدور على لعب العيال مع رئاسة الجمهورية !
- أبدى شقيق ملك الراي
- الأسلاك المشتركة يلتحقون بإضراب لونباف
- أوريدو ستخفض أسعار الأنترنت
- الأفامي ينصح الجزائر بوقف رفع الأجور
- موبيليس تشرع في تغطية 9 ولايات جديدة
- التحقيق مع 6 موظف في شركة أجينور
- شركة سونطراك بالبويرة
- الحصول على الفيزا للخارج
- كتلة FLN
- نجا سائق سيارة كياريو من الموت
- إدانة مير بثلاث سنوات سجينا
- توقيف منحرفين يستعملون سيوف الساموراي
- كلّ السيناريوهات كانت مبرمجة
- هوّن عليها صدمة تصنيف الكاف
- الفايسبوك كان سببًا في تنقلي إلى بلعباس
- افتتحوا السنة بفورد !
- اكتشفوا اللوحة الرقمية الجديدة CONDOR
- لم يتبق لنا الكثير من المونديال
- سبّبته لي مادة الترنيت

- صيانة الكبيوتر
- للشفاء من الاكتئاب و الخوف و الخلعة و الخباط و شقيقة
- تكوين سريع و دبلوم
- ماكياج لبناني و أستتيك و تنظيف البشرة
- بيتزا
- يقومون بهذه العمايل السوداء
- تشرع قناة الشروق تي في في بث حصة
- قاموا بإخراج الأوراق الكارتونية
- وكالة سونلغاز

ففي هذه النماذج في جريدة "الشروق اليومي" نلحظ خليطا من اللغات المستعملة التي كانت بين تداخل معجمي في مثل (الأنترنت، الفايسبوك، الفيزا) وتداخل تركيبي (ماكياج لبناني) و (إدانة مير...) وهذا عائد إلى عمل الصَّحفي على الهبوط إلى لغة العامة من الناس، واللجوء إلى المستوى العاميَّ، وكما كانت الكلمات الفرنسية لها حيّزٌ كبيرٌ نظرًا لعامل رئيس وهو العامل السياسيّ المتمثل في الاستعمار الفرنسي للجزائر وتأثيره الكبير في لغة التخاطب عند الجزائريين.

* **الخبر اليومي:** العدد 7345 ، يوم السبت 15 فيفري 2014

- يكاد نفس السيناريو يتكرّر
- هكذا سؤال صار روتينيا
- الأرندي
- مسابقة الطريق إلى المونديال
- مساهمة مؤسسات كوندور و بيجو
- مستوى النقاش السياسي في تونس يسخّف
- ستقدِّم كوندور 10 إقامات
- ياغورت فاسد في مدرسة ابتدائية
- السجل الوطني للحالة المدنية الأوتوماتيكي
- الفيفا تجمّد انتخابات الأندية المصرية
- رفض السكرتير الأوّل
- مدير سونطراك

- شاحنة صوناكوم مسطحة
- أنابيب و مضخات + فيراطي
- فيديو + ديمو + تلفزيون ملوّن
- جلسات ماراطونية
- كان المير قد حمل مسؤولية
- حجزت فرقة الجمارك 2150 علبة مارلبورو
- العثور على جثتين لحراقة
- أس أل سي تشتري أسهم ديفونا الجزائر
- بارون نفي إلى المغرب
- 15 فيفري 2014 العدد 7345

مثل ما هو عليه في جريدة الشروق اليومي نجده في هذه الجريدة حيث تنوّعت أشكال ظاهرة التداخل اللغوي في هذه المواضع بين تداخل معجمي مِنْ كلمات عامية وفرنسية في (صوناكوم ، ديمو، فيراطي، المير، ...) و تداخل تركيبي كما في (الأرندي، ياغورت فاسد، يكاد السيناريو ...)

* **الجديد اليومي** : العدد 680 الخميس 30 جانفي 2014

- أكّد ممثّل منظمة الفاو بالجزائر
- أكّدت المسؤولة التجارية شركة الجزائر سان (المتخصّصة في الطاقة الشمسية)
- يستعينون بالكوابل الكهربائيّة
- زوروا موقعنا على الانترنات
- على الفاكس أو على الإيميل
- يواصل رحلته الماراطونية
- حريق أرشيف إداري قديم
- أشغال الترامواي تنطلق في السداسي الثانية
- إنجاز متحف الفنون بموقع مونبري سابقا
- فيسبوك يودّع مستخدميه
- تحقّق في وجود مشكلة في جي ميل
- مشوار تصفيات كان 2015 لن يكون سهلا
- خلال الميركاتو الصيفي القادم
- أنّه سيكون المثل الوحيد لها في المونديال القادم

– صالونات أوسكار نيمير في معرض للصور الفوتوغرافية

– دي اف أم و أربعة بالات و ثلاث براوط

– لكن الغالبية منهم ما هم إلاّ عرائس قراقوز سوفر

– الهدرة الفارغة

– يتطلّب أكتاف صحاح

كما وقفنا على امتزاج اللفظ والتركيب العربي الفصيح في جريدتيْ "الشروق اليومي" و "الخبر اليومي" نجد الأمر نفسه في جريدة "الجديد اليومي" فقد تنوعت أشكال ظاهرة التداخل اللغوي في هذه المواضع بين تداخل معجمي مِنْ كلمات عامية وفرنسية في (المونديال ، براوط ، الفوتوغرافية ، مونبري ...) وتداخل تركيبي كما في التركيب الإسنادي (أكتاف صحاح).

– أسباب التداخل اللغوي في الصحافة الجزائرية:

بعد عرضنا لأهمّ مظاهر التداخل اللغويّ في صحافتنا الجزائريّة المكتوبة من خلال هذه النماذج الثلاثة من الصحف يُمْكِن أنْ نحدَّدَ أسبابها إلى فيما يأتي :

أ– الأسباب اللغوية :

1– الحاجة : قدْ تدعُو الحاجة أو الضرورة إلى اللجوء إلى ألفاظ اللغات الأجنبيّة، فيُسْتعار منها ما تدعو الحاجة إليه حينًا، وما لا حاجة إليه حينًا آخر، فاللغات يستعير بعضها من بعض إمّا لأنَّ الألفاظ المستعارة تُعَبِّرُ عن أشياء تختصُّ بها بيئة معينة ولا وجود لها في غير هذه البيئة ، أو تكون الاستعارة لمجرّد الإعجاب باللفظ الأجنبيّ . وتقتصر الاستعارة عادة على الألفاظ والكلمات ، ولا تكادُ تتعدَّاها إلى العناصر اللغويّة الأخرى، كالتصريف والاشتقاق وتركيب الجمل.[19]

2– التسامح اللغوي : وذلك واضحٌ في غفران الهفوات في تقعيد القواعد وإعطاء مطلق الحريّة اللسانيّة والفنيّة في توظيف الكلمات وربطها بالمضمون المُرادُ التعبير عنه[20] ، وهذا الغياب للقوانين الخاصّة بحماية اللغة العربية – سواءً من ناحية التشريع أو من ناحية التنفيذ – سبَّب في الفوضى اللغويّة السائدة ولاسيما في الإعلام.

3– عوامل داخلية في متن اللغة وقوانينها : وتكون في اللغة الواحدة في حدَّ ذاتها، بحيث تساهمُ وتُسَهِّلُ لدخول ألفاظ غريبة عنها مثل طبيعة الأصوات وتشابهها مع أصوات في لغات أخرى ، وأبنية الكلام.[21] فالعرب تكثرُ في لغتها القياس والاشتقاق، ولحاجتها إليه في هذا العصر نظرًا لكثرة المصطلحات التي تحدث

في سوق الاستعمال، ولا تجدُ أسماء عربية في الوقت الذي تُعْرَفُ العربية باشتقاقاتها الكثيرة والمرنة[22] وهذا ما جعلها عُرْضة للتداخل اللغوي.

ب- الأسباب الاجتماعية:

1- احتكاكات اللغات واختلافها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور: فالاحتكاك بين اللغات أمر لابدّ من نظرًا لتطور الحضارة وتنوُّع المصادر التي تؤثِّرُ في حياة الإنسان ، وإنّ هذه الاحتكاكات بين اللغات تُعَدُّ من أهمِّ الأسباب التي تؤدِّي إلى تداخل هاته اللغات وتناوبها في المجتمعات [23] ولغة الصحافة عندنا كانت خليطًا بين عربية فصحى وعاميّة ولغة أجنبيّة ، ولاسيما الفرنسية بحُكْم الاستعمار الفرنسيّ للجزائر.

2- هجرة الألفاظ : فالألفاظ تتنقل وتُهاجرُ كما يُهاجِرُ الناس، ويؤدِّي انتقالها وهجراتها إلى تداخلها وتَسَرُّب ألفاظ لغة إلى أخرى[24]، واللغة شأنها شأن فروع المعرفة الأخرى تنتقل بين الناس، فليست المعرفة ملك أحدٍ دون آخر، وليس من أمة أنْ امتلكت ناصية العلم ولمْ يُشْرِكها في الأمر أمّة أخرى ؛ ذلك أنّ التراث الإنساني محصول طائفة كبيرة من الأمم، واللغات متداخلة ببعضها ولعلَّ من دلالة الحيويّة اللغويّة في اللغات أنها تقبلُ من غيرها من اللغات كلَّما وجدت الحاجة إلى هذا[25]

3- إقصاء شريحة معيّنة من المجتمع : وذلك عند رغبة المتكلم في إقصاء جزء من مستمعيه لتمرير رسالة سريّة[26]عن طريق حواجز لغويّة أو توسيع المسافة الاجتماعية.

4- إيصال الفكر بشكل جيّد: ويحْدُث عند المتكلّم الذي يُريدُ إيصال الفكرة والتأثير في المتلقي أو للتوكيد والتوضيح.

ج- الأسباب النفسية:

1- إثبات الذات عند المتكلّم: إنَّ استعمال التداخل اللغوي يدلُّ على رغبة المتكلم في التميُّز بالنسبة لأغلبيّة المستمعين الذين لا يُحْسنون اللغة التي يتكلّم بها[27]

2- التخلُّص من العقدة النفسية: ويكون ذلك عند المتكلّم أو الكاتب الذي يعاني عجزًا لغويًّا فيلجأ إلى التداخل بين اللغات حتى يتخلَّص من هذا العجز الذي قدْ يُشكِّلُ عقدةً نفسيّةً عند المتكلّم أو الكاتب، فيستعمل لغات أخرى أو مستويات أخرى لنفس اللغة.

د-الأسباب التربوية والإدارية:

1- المناهج الدراسيّة المعتمدة في كليات الإعلام مسئولة بشكل مباشر عن ضعف اللغة العربية في وسائل الإعلام.

2- انعزال الصّحافة عن المؤسسات العلميّة اللغويّة أدّى إلى انحدار مستواها اللغويّ ، مع كونها منْ أهمّ وسائل التأثير في اللغة لدى المجتمع.

3- إقبال الإعلاميِّين عمومًا – والصحفيين خصوصًا – على الترجمة من مصادر المعلومات الغربيّة وجرأتهم على الترجمة كما يَعنُّ لهم مِنْ غير استعانة باللغويِّين، وإنبتات صلتهم بالجامعات ومراكز البحث فَضْلاً عن المجامع اللغويّة وما لها من قرارات فيما يخصُّ الترجمة، بلْ إنَّ بعض العاملين في الصّحافة إنْ لم نَقُلْ جُلَّهم قدْ لا يُدرِكُ نشاط المجامع وجهودها في مجال الترجمة .

4- الاستعانة بغير المُتخصِّصين في مجال (المراجعة اللغويّة) داخل الصّحف نظرًا لفوضى تلك المهنة وعدم وجود ضوابط لتنظيمها.

هـ – أسباب أخرى :

1 . الاحتلال بأشكاله وأساليبه المختلفة: ويتمثل في تلك السياسة التي يتعامل بها الاحتلال، أينما وجد وحيثما حل، إذ أول ما يقوم به المحتل هو ضرب لغة الدولة المُحْتَلَة لإدراكه أنّ اللغة عامل توحيد وتفريق في آن واحد، لهذا نراه يعمل على فرض لغته بالقوّة على الأهالي والسكان الأصليين، و تضييق الخناق على لغتهم الأصلية ، كما حدث في الجزائر و غيرها من الدول العربية المجاورة .

2 . الدعوة من البعض إلى التخلي عن اللغة العربية الفصحى، و استبدالها بلهجة أو لغة أخرى أكثر سهولة و تناسبا مع متطلّبات العصر بالادِّعاء أنّها – اللغة العربية – عسيرة معقدة ، و قواعدها و ضوابطها كثيرة مشتتة ، يتعذّر استيعابها والانقياد لها في حياتهم اللغوية، إن أرادوا الإبداع والانطلاق في التعبير علما وأدبا و ثقافة "[28].

-علاقة الواقع اللغوي الجزائري بلغة الصحافة:

لقد بدأت اللغة العربية الفصحى منذ أوائل القرن التاسع عشر تسترجع مكانتها كلغة أدبيّة راقيّة ولغة التعامل السياسي والإداري والعلمي، بعد أنْ جمدت تراكيبها، وهجرت ألفاظها وأساليبها، وتخلَّتْ عن وظائفها كلغة حضاريّة عالميّة، لعدّة قرون وقدْ تمَّ الشيء الكثيرُ في إصلاح أوضاعها خلال القرنيْن الماضييْن بفضل رجالٍ كانت عندهم أهدافٌ واضحةٌ وشجَّعتْهم حوافزُ قويّةٌ حضاريّة واجتماعيّة وسياسيّة، وتقدّم هؤلاء الرجال الأدباء والصحافيّون والمترجمون، وغيرهم حيث كان لهم دورٌ كبير في حفظ هذه اللغة العريقة – اللغة العربية– دون تغييرٍ كبيرٍ في أبنيتها بعكس ما هو واقع في معظم لغات العالم اليوم إنْ لم يكنْ في كلِّها وعدد مستعمليها مُوَزَّعٌ على عشرات الدول في العالم زيادةً على الدول العربية.[29]

غير أنَّ إصلاح أوضاع اللغة العربيّة لم تتحقّق أهدافه كلّها، إذْ اعترضه ولا زال يعترضه عدد من الصعوبات نظرًا لعدّة عوامل منها: الصراع الحادّ بين اللغات الحضاريّة في العقود الأخيرة على وجه الخصوص ومنها وضع العالم العربيّ اليوم بالمقارنة مع الدُّول المتقدمة [30] ، ممّا أدّى إلى تعدُّد اللغات في

الأوساط العربيّة واختلاف المستويات اللغويّة فتشعبَّتْ لهجاتها وبدأت العربية تضعفُ وتفقِدُ شيئا من متونها في ظلّ توجُّه الاهتمامات أكثر إلى إصلاح القواعد ومحاولة تيسيرها تارةً ، وتارةً أخرى محاولة تطويع اللهجات لخدمة الفصحى وغير ذلك.[31]

ولعلّ الأثر الكبير لها واضح في لغة الصّحافة كونها تُشَكلُ الحيّز الأكبر من الاستعمال، وفيها تتجلَّى إشكاليّة التلقّي بكل مظاهرها وهي أخطر المستويات نظرًا لكونه يستعمل مصطلحاتٍ مهيْمنةً على جميع مستويات الاستعمال (فصحى، عاميّة ، لغات أجنبية).[32]

- التوصيات والحلول:

إنَّ لغة الصحافة وليدة العصر، ممّا يعني أنَّها تُوفِّقُ بين لغة الحياة اليوميّة ولغة العلم والتكنولوجيا فتقّرِب هذه الأخيرة إلى أذهان أفراد المجتمع بطريقة مُيَّسرة بعيدة عن التعقيد من غيرها من ناحية المفردات والرصف اللغوي، وأسلوبها هو الأسلوب الذي يجتمع الناس على فهمه، وعلى محاكاته حين يتكلَّمُون أو يكتبون[33] وُيمْكن لهذه اللغة استعمال الرُّخَص اللغويّة من غير انحدارٍ إلى تحطيم القواعد أو إلغائها واستخدام العاميّ واللفظ الأجنبيّ ليحلَّ محلَّ العربيّ الفصيح.

ولعلَّ الإدراك بمستويات الفصاحة – بين العربية العامية والعربية الفصيحة ثمّ الفصحى– يرشد إلى تقبُّل العمل على نشر العربية الفصيحة بمعنى الحدّ الأدنى من الفصاحة مع الاحتفاظ بالصّواب إذْ هو الهدف الأقرب إلى التحقيق إذْ يكادُ اللغويّون والصّحفيّون يتّفقون على ضرورة تبسيط العبارة اللغويّة في الصّحافة، ولكنَّهم يختلفون في مسالك التبسيط فَكُتَّابُ الصّحف أكثر تحرُّرًا في الميدان اللغويّ لأنّهُمْ ينْطلقون منْ وَهْم أنَّ اللّغة ما هي إلاّ وسيلة تخدم هذه الرسالة الإعلاميّة وهو الإبلاغ ، وليس من ضرورةٍ تُوجِبُ مراعاة هذه الوسيلة وصولاً إلى الغاية المنشودة ، ثمّ يتذرّعُون بصعوبة اللغة العربيّة وتعقيدها وعُسْر قواعدها بلْ وقصورها عن مسايرة ركب الحضارة ممّا يدفعهم للكتابة دون قيْدٍ بالانتقال بين مستوى ومستوى لغويٍّ آخر، بل ومن لغةٍ إلى لغةٍ أخرى أجنبيّة في المادّة الصحفيّة.

ولهذا نخلُص إلى جملةٍ من الاقتراحات والحلول والتوصيات نراها تصُونُ اللغة ، وتعمل على ترقيّة استعمالها:

1- تعديل مناهج كليات الإعلام ، وإقرار إدخال اللغة العربية بكثافةٍ ، بحيث تكون مواد اللغة العربية في تلك الكُليّات إحدى معايير الجودة.

2- تعديل مناهج أقسام اللغة العربية أيضًا بوضع مقرّرات تربط الطالب بالمجتمع وفئاته المختلفة، وتُسْهِمُ في تأهيله لسوق العمل.

3- ربط المؤسّسات الصحفيّة بمجامع اللغة العربيّة عن طريق مكتب اتّصال لغويّ يتولَّى تعميم ما يستجدُّ من قرارات المجامع ، ويضعُ دورات خاصّة بالصحفيين تُركِّزُ على الأخطاء اللغويّة الشائعة وردّها إلى الصواب، وكذلك العناية بالترجمة السليمة.

4- اختيار المحرِّرين والمدقِّقين اللغويّين مِنْ ذوي الكفاءات العالية ليكونوا مُؤهّلين لأعمالهم تأهيلاً جيّدًا، ثُم لا يُمارِسُ هؤلاء أعمالهم الرسميّة إلاّ بعد مدّة كافيةٍ من التدريب والتمرين.

5- أنْ يكونَ في كلّ مؤسّسة إعلاميّة أفراد يُخْتَارُون من أولئك المؤهّلين أو منْ غيرهم ويُوكَلُ إليهم تدقيق كلّ ما يُعْرَضُ من دراساتٍ ومقالاتٍ وإعلاناتٍ وأخبارٍ، وردّ كلّ ما يصل إلى المستوى اللغوي اللائق، وكذلك التشدُّد في قبول كلّ ما يُقدَّمُ باللّهجة العلميّة المحليّة وغير المحليّة، والتقليل منها.

6- تنظيم مهنة "المراجع اللغويّة" وما يشابهها، وإنشاء نقابة خاصّة؛ لتحقيق ذلك التنظيم بضوابطه المعتمدة، وحماية المهنة منْ الدخلاء ، وحفظ الحقوق للمشتغلين بها تشجيعاً للمؤهّلين وأصحاب السليقة اللغويّة العاملين في ذلك المجال.

7-التعاون بين مجمع اللغة العربية ومختلف المؤسسات الإعلاميّة في أمر العناية باللّغة الفصيحة وأساليبها الصحيحة، وتوزيع ما يصدرهُ المجمع منْ نشراتٍ وآراء وقراراتٍ في هذا الشأن على تلك الأجهزة والمؤسّسات للاطّلاع عليها، والأخذ بها.

تلك جملةٌ من الاقتراحات نرى أنَّها تُساهِمُ إلى قدرٍ كبير في النهوض بالمستوى اللغويّ للإعلام المقروء، وتصل به إلى الحدّ المناسب دون صَنْعةٍ مقصودةٍ أو تكلُّف مُعيقٍ ، لأنَّ للإعلام لغةً تقوم على السهولة والوضوح ونقل الحقائق والأخبار بالتصوير اللغويّ الدقيق، تفعيلاً لدور القارئ فيما يقرأُ.

الهوامش:

[1] المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر،مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م/1425هـ، ص508، مادة، (ص، ح، ف).

[2] "انقذوا اللغة العربية من الصحافيين" منافحات في اللغة العربية، صالح بلعيد، تزي وزو، دار الأمل، 2006م، ص:100.

[3] "أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية" ثروت عبد الباقي أحمد، بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1997م، المجلد4، ص:337.

[4] "الطفل العربي بين اللغة الأم و التواصل مع العصر:أبعاد المسألة و إطارها المنهجي" ، محمد الشيباني ، اللغة والتواصل التربوي والثقافي، مقاربة نفسية وتربوية (مجموعة من الباحثين)، منشورات مجلة علوم التربية الرباط ، ص113 .

[5] "اللغة العربية الدارجة وعملية توحيد المصطلح مشاكل وحلول " ، تيسير الكيلاني ، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم الرباط ، مكتب تنسيق التعريب ،2002 م ، ع54، ص163.

[6] اللغة بين المجتمع والمؤسسات التعليمية ،عبد المجيد عيساني ، مطبعة مزوار، الوادي ، الجزائر ط1 /2010م ، ص120,121

[7] ينظر : اللغة الأم وسلطة المأسسة ،عبد السلام خلفي، "مبحث في الوضعية اللغوية والثقافية في المغرب " ، 2000 م ، المغرب ، ص39

[8] مقال " الواقع اللغوي الجزائري" ، لاصب وردية ، مجلة اللغة الأم ، جامعة تزي وزو ، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر 2009م، ص71

[9] ينظر: علم الاجتماع اللغوي ، لويس جان كالفي ، تر محمد يحياتن ، دار القصبة للنشر ، الجزائر (د.ط)، 2006م ، ص46

[10] يوسف: 2

[11] الشعراء: 195

[12] ينظر: المشكلة اللغوية العربية ، سمر روحي الفيصل ، لبنان ، ط1،1992م ، ص70

[13] ينظر :علم الاجتماع اللغوي ، ص46

[14] نحو وعي اللغوي، مبارك مازن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، 1985م، ص41-44

[15] النظرية العامة للقومية العربية ، فهي مصطفى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية مصر ، 1966 ، ص150

[16] ينظر: اللغة بين المجتمع والمؤسسات التعليمية ، ص117

[17] الاختلاف واضح بين الباحثين من العرب والغرب حول مصطلحي "الازدواجية" Bilingualism و الثنائية Diglossi ونختار ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من أنّ الازدواجية هي العلاقة بين اللغة العربية واللغات الأخرى، أمَّا الثنائية العلاقة بين اللغة العربية ولهجاتها.

[18] ينظر: المصدر نفسه، ص117,118 ، ومقال" اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر"، صالح بلعيد ، مجلة اللغة الأم ، ص11

[19] ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1963م، ص:148.

[20] ينظر: العربية بين التطبيع والطبع، دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د. ط)، 1993م ص:175.

[21] ينظر: المصدر نفسه، ص:176.

[22] ينظر: عوامل التطوُّر اللغوي، أحمد عبد الرحمان حمَّادُ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص:168.

[23] ينظر: فقه اللغة المقارن، إبراهيم السامرائي، دار العلم الملايين، بيروت لبنان، ط2، 1978، ص:164 – 165.

[24] ينظر : les Algériens et leur (s) langue (e)éléments pour une approche sociolinguistique de la société algériens, lés éditions EL HIKMA, Alger edition,2, 1997.p.113

[25] ينظر: المصدر نفسه، ص:113.

[26] ينظر: إشكالية استعمال الكلمات الدخيلة والعامية في بعض الأعمال الأدبية والصحفية، الطاهر ميلة، مجلة اللغة العربية مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 1995، ع2، ص:117.

[27] ينظر: المصدر نفسه، ص:117.

[28] المهارات اللغوية و عروبة اللسان ، فخر الدين قباوة ، البحوث و الدراسات في علوم اللغة و الأدب ، ط1 دار الفكر ، دمشق ، سورية ،1420هـ/ 1999م ،ص16

[29] ينظر: اللغة العربية آلياتها الأساسية وقضاياها الراهنة، صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1995م، ص:128.

[30] ينظر: لغة الصحافة المعاصرة، محمد حسن عبد العزيز، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص:04.

[31] ينظر: اللغة العربية آلياتها الأساسية وقضاياها الراهنة، صالح بلعيد ، ص 128

[32] ينظر : المصدر نفسه ، ص 133

[33] ينظر: لغة الصحافة المعاصرة، محمد حسن عبد العزيز ، ص 04